دور التعليم العالي في تنمية المجتمع العربي

د. خديجة أحمد الهيصمي

كلية التجارة والاقتصاد - جامعة صنعاء

مقدمة :

دواعي تنمية المجتمع العربي :

- تبحث هذه الدراسة في دور التعليم العالي في التنمية وهي يمكن أن تفيد المعنيين به وبخاصة المدرسين في مؤسسات هذا التعليم في الوطن العربي، حيث تلقي الضوء على أهمية هذا الدور وأبعاده .
- إن الأمة العربية تعيش حالياً مرحلة دقيقة من تاريخها . وتواجه فيها تحديات خطيرة لا تعيق تقدمها فحسب بل تمنع استقرارها وتطورها، وبالتالي تفسد عليها حياتها وتهدد وجودها كأمه ذات حضارة إنسانية ورسالة سامية ، ومن التحديات التي تواجهها الأمة كثيرة ومتنوعة ومتشابكة، إلا أنه يمكن القول عموماً أنها انعكاس عن تحدٍ أساسي واحد هو التخلف بكل صوره ومظاهره. هذا التخلف الذي يواجه الأمة بتاريخها وتراثها وفكرها، والذي يقف وراء معظم المشاكل والصعوبات التي لحقت بها والتي تعيشها .
- ونلاحظ مظاهر التخلف على مستوى المواطن والمجتمع والدولة على سبيل المثال لا الحصر .

على مستوى المواطن :

يلاحظ أن من مظاهر التخلف أن أغلب المواطنين في معظم الدول العربية لم تتبلور بعد هويتهم الثقافية الواحدة الموحدة التي مما تؤكد عليه بشكل أساسي إيمانهم بالتراث الإسلامي العظيم وانتمائهم إلى أمتهم العربية ، وغياب الهوية الثقافية الموحدة الراسخة في العقل والوجدان . فنسبة غير قليلة من المواطنين العرب أثر الغزو الثقافي القادم من خارج الأمة بشكل سلبي على قناعاتهم وقيمهم ومثلهم .

كما وتتضح مظاهر التخلف عند هؤلاء المواطنين في التفكير والعمل وأسلوب التفكير السطحي و الارتجالي والمتسرع وغير الموضوعي .

- ونلاحظ مظاهر التخلف في المجتمع في العديد من الدول العربية بارتفاع نسبة الأمية والفقر والمرض والفساد ، والطبقة الفقيرة تكون شريحة واسعة من المجتمع في حين أن الطبقة الوسطى محدودة جداً ، وهذه الطبقة عموماً في نظر علماء الاجتماع هي التي تحمل أكثر من غيرها قيم المجتمع وتكون أكثر انتماء إلى تراث الأمة وإلى الوطن .

إن من مظاهر التخلف في المجتمع عدم التوازن الطبقي، وضعف الأداء، وسوء التنظيم في المؤسسات الاجتماعية مما ينعكس سلباً على أداء وظائفها وأعمالها .

ومن مظاهر التخلف على مستوى الدولة ما يلاحظ في الجانب الديمغرافي مثلاً فالعديد من الدول العربية لم تحقق بدرجة كافية وحدتها الوطنية وبالتالي تماسكها الاجتماعي ، ومنها من يعاني من انقسامات طائفية أو عرقية .

أو يلاحظ في الجانب السياسي أن المواطن فيها محروم من حقوقه السياسية الأساسية لوجود قيود مفروضة على حريته ولا تزال الديمقراطية إذا ما وجدت فيها في مراحلها الأولى أو بشكل نظري ومضامينها العملية ضعيفة .

ويتضح التخلف الاقتصادي في المجتمع العربي في اعتماد معظم دوله على الخارج في الوفاء بحاجاته الأساسية كالغذاء والكساء والدواء والأدوات الكثيرة المختلفة .

- ويتجسد التخلف التربوي في أغلب الدول العربية في أمرين مهمين :

1- أن نوعية التعليم دون المستوى المطلوب في جميع مراحله وأنواعه ، وهذه النوعية تنعكس على جميع جوانب الحياة .

2- أن مخرجات التعليم من القوى البشرية لا تتلاءم مع متطلبات المجتمع وحاجاته منها ، إن هذا الخلل يؤدي غالباً إلى البطالة .

ومن مظاهر التخلف على مستوى الأمة التفكك والتجزئة التي تعيشها على الرغم من التحديات التي بدورها لم تتمكن حتى اليوم من تطوير شكل من أشكال التعاون والتضامن والتنسيق لمواجهة تلك التحديات .

التخلف والتعليم العالي :

إن تحليل التخلف إلى عناصره الأساسية تحليلاً موضوعياً يبين أن الإنسان بكل ما يمثل أو يتمثل : معرفته، مفاهيمه، قيمه، مثله، عاداته، تقاليده، أسلوب تفكيره وسلوكه، هو السبب الرئيسي في هذا التخلف، بل أن تقدم الإنسان سجل هذه العناصر .

إن من أهم الفروق بين المجتمعات المتقدمة والمتخلفة هو فرق بين الإنسان في هذه المجتمعات . ولا تقاس الفروق بما يملكه هذا الإنسان من أبنية فخمة وأثاث فاخر أو بما عنده من ثروات مادية أو بما يستخدمه من أدوات إنما تقاس بما يملكه من: معرفة ومفاهيم وقيم وأساليب تفكير وسلوك .

- إن واقع بعض الدول المتخلفة الغنية هو خير مثال يوضح أهمية الإنسان في التقدم أو التخلف.
- إذا كان أساس التحديات التي تواجه الأمة العربية هو التخلف، وإذا كان الإنسان هو كل ما يمثل ويتمثل هو العنصر الرئيسي في هذا التخلف فإن السبيل الوحيد الذي لابد منه التحدي لهذه التحديات هو تطوير هذا الإنسان ونقله من واقع التخلف إلى آخر متقدم.
- إن تطوير الإنسان من الأمور الصعبة والمعقدة ومع ذلك فهو ممكن من خلال تنظيم وضبط وتوجيه العوامل التي تشكله وتطور معرفته وقيمه ومثله وعاداته وأساليب تفكيره وسلوكه، أي من خلال تطوير المؤسسة التربوية .

ولكل مرحلة وشكل من أشكال التربية دوراً مهماً في تطوير الإنسان وتغييره وبالتالي في مواجهة التخلف وتحقيق التقدم ، إلا أن للتعليم العالي أهميته النسبية وخصوصيته في عملية التغيير والتطوير تفرضها مكانته في المؤسسة التربوية وبالتالي موقعه في المجتمع وطبيعة دوره الخاص المتميز في خدمته وتنميته :

1- فهو يختص في إطار هيئة التدريس في أكبر مجموعة من أبناء المجتمع ذات التأهيل العالي والمتخصص المتميزة بالخبرة العميقة، أي المجموعة التي يمكن أن تسمى بالقيادة الفكرية العليا للمجتمع .

2- فمؤسسات التعليم العالي تمثل المرجعية المعرفية المتخصصة لمؤسسات المجتمع وهي تقدم التقييم المستمر لواقع المجتمع ومؤسساته والمشاركة الفعالة في وضع خطط التطوير والتنمية .

3- كما أن التعليم يقدم الأفكار والنظريات والإيداعات في مختلف مجالات العلوم والفنون والآداب .

أبرز خصائص التعليم العالي العربي :

- إن التعليم العالي في الوطن العربي يتصف بخصائص أهمها :
  - الالتزام بالتراث الروحي للأمة العربية .
  - الالتزام بوحدة الوطن العربي .
  - الالتزام بالحرية الديمقراطية والعدالة الاجتماعية .
  - الالتزام بالانفتاح على التراث الإسلامي .
  - الالتزام بالخدمة العامة .
  - الالتزام بالقيام بالدور التجديدي .
  - الالتزام بالمنهج العلمي .
  - الالتزام باستقلال مؤسسات التعليم العالي وحريتها .

- **التعليم العالي وحاجات المجتمع :**

إن التعليم العالي يجعل من خدمة المجتمع وتنظيمه من أهدافه الرئيسية حيث ينظم من خلاله برامج تعليم الكبار وتوفر للناس جوانب متعددة من النشاطات وبعض الخدمات المحلية البيئية التي يهتم بها الباحث .

إن مؤسسات التعليم العالي تعمل على ربط خططها بحاجات المجتمع والتخطيط الجيد يحول دون زيادة عدد الخريجين في مجالات معينة عن حاجة المجتمع .

التنمية :

أهمية مفاهيم التنمية :

إن قضية التنمية والتغيير المخطط لم تظهر في الدراسات الاجتماعية منذ ما يقرب الربع قرن الأخير وذلك :

- لتبعية مجتمعات العالم الثالث .

- ولمواجهة مشكلات التخلف فيها .
- وللإسهام في إعادة بناء هذه المجتمعات بسبب :
  - الحروب المدمرة .
  - والاستعمار الذي استنزف ثرواتها .

إن الدول النامية تسعى للخروج من حلقة التخلف وتحقيق حياة أفضل وذلك من خلال :

- القضاء على أشكال التبعية والتخلف بجميع صوره اعتماداً على تبني مجموعة من البرامج التنموية القائمة على التخطيط العلمي لإعادة بناء هذه المجتمعات ودفعها إلى تحقيق التنمية .

إن أغلب الدراسات التي ظهرت لمعالجة التخلف والتبعية اختلفت باختلاف الأيدولوجيات والثقافات .

وفي ضوء ذلك سيتم عرض بعض هذه التعريفات والمفاهيم التي ترتبط بقضية التنمية الشاملة بشقيها الاقتصادي والاجتماعي .

الفرق في المعنى العام بين : النمو والتغير والتنمية .

النمو : ظاهرة نمطية ، تلقائية ، من صنع الطبيعة وتخضع لعواملها وتحكمها وظروفها.

التغير : هو حدوث تحولات اجتماعية في أي اتجاه سواء للأمام أو للخلف أي ما تقدم أو تأخر.

التنمية : تغير إداري مقصود .

إذن هي تركز على الإرادة الإنسانية، وعلى الرغبة والإرادة والتصميم، مع توافر القدرة والطاقة مما يؤدي إلى تحقيق الهدف المنشود .

تعدد مفاهيم التنمية :

تتعدد مفاهيم التنمية وتختلف باختلاف المنظور الذي نراها من خلال المنظور السياسي :

- تعلماً أحسن .
- صحة أوفر .
- مسكناً نسبياً .
- وسائل اتصال ونقل أكثر وأرخص .
- إحلال الآلة محل الإنسان .
- تنوع أكبر في الخدمات المتاجرة من حيث النوع والكم والمكان ، والسعر المناسب .
- والبحث عن :
  - المكانة. والقوة. والمركز. والكرامة.

المنظور الاقتصادي :

- وهي توفير حد أدنى من مستوى المعيشة للأفراد.

- وتحقيق رفاهية اقتصادية تحقق بدورها الرفاهية الاجتماعية.
- مع خلق اقتصاد قادر على النمو الذاتي.

المنظور المادي :

- مطابقة السلوك لصحة الاعتقاد بما يحرر عقل الإنسان وروحه وبدنه، فتكون له القدرة على تحقيق خلافته لله تعالى في الأرض بسيطرته على بيئته واستغلاله دون شطط .

المنظور الاجتماعي النفسي :

- تحقيق التوافق الاجتماعي لأفراد المجتمع .
- تحقيق صحة نفسية للمجتمع .

المنظور الاجتماعي :

- تزويد الجماهير بالقدرات التخطيطية والتنفيذية والشعبية .

التعليم العالي وتنمية المجتمع :

إن مؤسسات هذا التعليم هي مؤسسات رائدة، وقد قامت بأداء مهمة جليلة في حل المشكلات التي تواجه التنمية الاجتماعية الشاملة من خلال الوظائف المتعددة التي يؤديها نظام التعليم العالي بصورة عامة. فقد قامت هذه المؤسسات بدراسات لإيجاد الحلول لكثير من المشكلات الاجتماعية .

وقد زاد الاهتمام حالياً بموضوع ربط وظائف التعليم العالي الأساسية لمجالات التنمية لدرجة أن تقويم فعالية هذا النظام أصبح يعتمد على مدى ملائمة أهدافه لمتطلبات التنمية الشاملة .

إن التعليم العالي في جميع بلدان العالم كانت من العوامل الأساسية في الإسهام في التنمية على اختلاف مجالاتها ، مما يبرز الحاجة إلى الربط بين سياساتها وأهداف التنمية الشاملة لزيادة معدلاتها ولتحسين مستوى المعيشة ولتحقيق الأمن الغذائي والصحي.

ولقد قامت مؤسسات التعليم العالي في العالم العربي بأدوار إيجابية لتجاوز معوقات الحياة ولاستيعاب التكنولوجيا وإشاعة قدر من التنوير الفكري وتكوين بعض العناصر البشرية المهنية. ولكن ما يزال أمامها شوط كبير يجب أن تسير فيه وأدوار متعددة يجب أن تؤديها .

إن من المهم الربط بين مدخلات التعليم العالي ومخرجاته مع سياسات وخطط إعداد القوى العاملة .

كما يتطلب هذا من تطوير لهياكل وبنى التعليم العام، ومن خلال تنويع ومرونة في نظم التعليم العالي وفي مؤسساته وتدرجه .

التعليم العالي وتحقيق الذاتية الثقافية :

إن التعليم العالي محط آمال المجتمعات الإنسانية في إحراز التقدم عن طريق إعداد القيادات العلمية والفكرية والفنية . فهو إدارة معاصرة حضارية وهو إدارة لتحقيق الذاتية الثقافية من خلال تكوين الإنسان المؤمن لحضارته وقدراته ومبادئه وهذا ركيزة مهمة وأساسية في تحقيق الانتماء القومي والوحدة الوطنية .

وبما أن مسئولياته كبيرة وأدواره متعددة ومتنوعة فأنه عرضة لتحديات مختلفة . إن لهذا التعليم دور مهم في الحياة العربية المعاصرة وفي تنمية الذاتية العربية كونه نواة للتجديد الحضاري، وحماية للفكر العربي من مشكلات التبعية والتخلف .

ودوره واضح في حماية اللغة العربية كونها قاعدة التنمية العربية ووعاء فكرها. إن مجتمع التعليم العالي هو مجتمع المعرفة. وهو الذي يقوم بمد المجتمع بأسباب التقدم والتطور في جميع مجالات الحياة وهو مصدر القدرات التنموية. لذلك تقع عليه مهمة تنمية الذاتية الثقافية والاهتمام باللغة كي تقوم بدورها الحضاري والإسهام في معرفة العلم والثقافة الإنسانية .

التعليم العالي ومواجهة التحديات :

يواجه هذا التعليم تحديات داخلية وخارجية ،فالتحديات الداخلية تعوق تطوره وهي ناتجة عن العوامل الموجودة داخل مؤسسات التعليمية كالتزايد الكبير في إعداد الطلبة وكفاءة التعليم والتدريب والمتطلبات الاجتماعية والانفتاح على المجتمع وتقديم الخدمات له، والقدرة على تنسيق أعمال البحث العلمي .

إن معظم الدول النامية تعاني مؤسسات التعليم العالي فيها من اختنا قات تؤثر على كفايتها الداخلية وهذه بدورها تنعكس على كفايتها الخارجية .

إن هذه التحديات تتركز حول مجموعة من العوامل والمتغيرات مثل :

- قدرة الجامعات على استيعاب الطلبة .
- قدره التعليم العالي على التوافق مع حاجات المجتمع والتنمية .
- القدرة على التكلف مع التغيرات التكنولوجية السريعة .
- القدرة على التكلف مع التغيرات السريعة في المهن .
- مشاكل التمويل ومحدودية الموارد .
- القدرة على الملائمة بين متطلبات الفرد والمجتمع .
- القدرة على تحقيق توازن بين وظائف التدريس والبحث العالمي والخدمات العامة.

أما التحديات الخارجية فمنها الواقع الدولي القائم وغير المتوازن للعلاقات والمبادلات بين مجتمعات العالم لتأثرها على التفاعلات الداخلية للمجتمع .

دور التعليم العالي في التنمية :

يؤدي التعليم العالي دوراً أساسياً في التنمية البشرية ، وفي تغيرها وتطويرها وفي صنع حاضرها وتخطيط مستقبلها باعتباره يشكل القاعدة الفكرية والفنية فيها ولكونه يحافظ على ثقافتها وتراثها الثقافي ويتحمل مسؤولية تطور هذا التراث. ومسؤولية تنمية الانتماء الوطني والقومي. ومسؤولية إعداد الكوادر البشرية على اختلاف مستوياتها وتخصصاتها ما يوسع آفاق المعرفة. إن أدوار هذا التعليم تتطلب من فلسفة المجتمع التي توجه فكره وأهدافه ونموه. وأبرز هذه الأدوار :

التعليم : وهدفه تنمية شخصية الطالب من جميع جوانبها وإعداده للعمل المستقبلي من خلال تحصيل المعرفة وتكوين الاتجاهات والمهارات . إن التنمية البشرية هذه تساعد النهوض بالمجتمع وإثرائه .

البحث : ويتم من خلال الباحثين في مؤسسات التعليم العالي ويعتبر من عوامل خلق المعرفة وتحقيق التقدم التكنولوجي إن لمعدل الأبحاث علاقة إيجابية بمعدل التنمية وبجانبيها الكمي والنوعي معاً. وتطبيقاتها كما في مجالات الزراعة والصناعة يسهم في تنمية المجتمع حتى البحوث في المعاهد العالية والجامعات من السبل الرئيسية لرفع مستواها العلمي وزيادة المعرفة الإنسانية .وحتى تكون هذه البحوث ناجحة من الضروري أن تعالج مشكلات المجتمع وأن تلبي متطلباته ولكي ينجح هذا التعليم في أداء هذه المهنة من الضروري أن يحصل على الدعم المالي وعلى تسهيلات إجراء البحوث .

الخدمة العامة : إن مؤسسات التعليم العالي لا يمكنها أن تعزل نفسها عن المشكلات الآنية للمجتمع وهي تقدم الاستشارات وتنشر المعرفة في المجتمع المحلي من خلال انفتاحها عليه وتوثيق روابطها به والمساهمة في حل مشاكله ومساعدته على استغلال موارده الطبيعية وتوفير القوي البشرية المدربة اللازمة له .

إن التعليم العالي يعتبر وسيلة تغير فعالة في المجتمع حيث تساعد على تكوين النظرة العلمية التي تهيئ الناس ليتقبل التغيرات ومعاينتها في ضوء فلسفة المجتمع وقيمة وثقافته، كما ويساهم في الملائمة بين الأصالة والمعاصرة ويعد الأفراد لتقبل التغيرات الجديدة في القرن الحادي والعشرين وبما يساعد على تحديث المجتمع وتنميته بصورة مستمرة.

المصـــادر

1- عبد الباسط محمد حسن . التنمية الاجتماعية ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1993 .

2- صبحي القاسم. التعليم العالي في الوطن العربي، عمان، منتدى الفكر العربي،1990.

3- محمد منير مرسي . التعليم الجامعي المعاصر قضـاياه واتجاهاتـه . القـاهرة ، مكتبـة النهضة العربية ، 1997 .

4- صبحي عبد الحفيظ . قضايا جامعية، دار الإصلاح للطبع والنشر ، الدمام ، السعودية ، 1984 .

5- جان ونكان . ترجمة حسين جلال مرسي . وظائف التعليم العالي المعاصر ، بيـروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، 1983 .

6- سعيد التل، مقدمة في التربية السياسية، دار اللواء للطباعة والنشر، عمّان، 1987م .

7- جامعـة صـنعاء، الـدليل العـام الجـامعي صـنعاء، دار الآفـاق للطباعـة والنشـر صنعاء،1997م.

8- المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم ، أحمـد الشـريف وآخـرون ، إسـتراتيجية تطوير التربية في البلاد العربية ، المنشأة الفنية للنشر طرابلس ، 1979م .

9- المنظمــة العربيــة للتربيــة والثقافــة والعلــوم، الخطــة الشــاملة للثقافــة العربيــة، الكويت،1986م .